



المدينة المنورة في عيون شعراء الأحساء:
كتاب (إمام الأنبياء في الشعر الأحسائي)
أنموذجاً

د. هدى عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ مبارك

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

DOI: 10.21608/qarts.2023.226685.1730

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٢) العدد (٦١) أكتوبر ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

<https://qarts.journals.ekb.eg>

موقع المجلة الإلكتروني:

المدينة المنورة في عيون شعراء الأحساء

كتاب (إمام الأنبياء في الشعر الأحسائي) أنموذجاً

الملخص:

يهتم البحث بدراسة المدينة المنورة في كتاب (إمام الأنبياء في الشعر الأحسائي) من خلال الوقوف على مكانة المدينة المنورة، والخصائص التي تميزها عن غيرها من بقاع الأرض، ووصف شوق الشعراء لها، وتصويرهم لمساجدها وجبالها وتربتها، وارتباط أماكنها بالنبي عليه الصلاة والسلام.

الكلمات المفتاحية: المدينة المنورة، خصائص، معالم

مقدمة

ترتبط الأماكن في الشعر بالحنين إليها والشوق إلى تفاصيلها، فالشاعر الجاهلي نسج أبياته الشعرية من الوقوف على الأطلال وتذكر الأماكن، وربطها بمحبوبته التي غادرتها وانتقلت لأماكن أخرى بحثا عن الماء والكلأ، ويأتي الشعراء ليكملوا مسيرتهم فترتبط عندهم الأوطان بالحنين خاصة عند الشعراء الذين نزحوا عن أوطانهم، فارتبطت أشعارهم بالغربة والاغتراب وتصوير اشتياقهم للأهل والأحباب، فالوطن عندهم تاريخ وحضارة وعواطف متأججة دائما، وكثير منهم جعل الوطن محبوبته التي يبحث عنها ويبادلها الحب، وقد تطور الحنين عند الشعراء من العصر الجاهلي وما بعده من عصور الأدب فتنوع واختلف بحسب الشاعر وظروفه التي مرّ بها، وبعضهم اغترب عن وطنه لما يلاقيه من نصب وتعب، فيجعل البقاء فيه شقاء وتركه راحة، ومهما اختلف الشعراء في مشاعرهم إلا إنما يجمعهم شعور له خصوصيته عند ذكرهم للأماكن المقدسة وبالأخص المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة، وقد حظيت دواوين الشعراء بذكر فضلها والشوق لزيارتها.

وقد ارتأيت أن أتناول دراسة المدينة المنورة في كتاب (إمام الأنبياء في الشعر الأحسائي)، ومن أسباب اختياري لهذا البحث ما يلي:

١. ارتباط الأحساء بالمديح النبوي منذ عصر النبي عليه الصلاة والسلام، واستمرار أهلها حتى هذا العصر ينشدون الشعر في مدحه.
٢. عناية الأسر العلمية في الأحساء بالشعر فقد خصصوا له المجالس والنادي الأدبية.
٣. انتقاء صاحب الكتاب للشعراء فهم نخبة من العلماء والفقهاء والأدباء.
٤. ارتباط شعراء الأحساء بالمدينة المنورة ارتباطا وثيقا فبعضهم جاورها ودفن فيها، وبعضهم ذهب إليها لطلب العلم، ومازالت أشعارهم تصف اشتياقهم وحنينهم لزيارتها.

وقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ثم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ارتباط المدينة المنورة بالشوق للرسول عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: مساجد المدينة المنورة.

المبحث الثالث: أرض المدينة المنورة.

ثم أنهيت البحث بخاتمة وأهم مصادر البحث ومراجعته.

تمهيد

تمتلك المدينة المنورة خصائص وفضائل كثيرة قبل الإسلام، فعرفت عند الشعراء بالمكان الآمن الذي عرف أهله بالشجاعة والكرم والوفاء، وقد ذكرها شعراء الجاهلية في أشعارهم، فهي "حاضرة في الشعر حضورا تجاوز المكان إلى ما فوقه لتتكامل فيها الصورة بأبعادها الطبيعية والعمرانية والاجتماعية" (الأحمد، ٢٠٠٧، ص ٥٢)، و"ليس غريبا أن تشمخ ملهمة لكثير من الشعراء ليسطروا أحلى القصيد ويكتبوا أجمل ما كُتب في القريض... وكيف يحلو الشعر وترق القافية إذا لم يكن ما نتحدث عنه هو هذه البقعة الطاهرة! إنها طيبة الطيبة المدينة المنورة" (خيري، ٢٠٠٣، ص ٩٧)، وقد ارتبطت بأماكنها المقدسة، فلأرضها وسمائها وجبالها وتربته فضائل ليست كغيرها في بقاع الأرض، وقد "زادت في الفضل وهي البلدة الوحيدة التي افتتحت بالقرآن ولما عهدته من كثير دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لها بالحصانة والبركة والخير وما لاقاه فيها من النصر والتأييد بين أهلها" (حافظ، ١٩٨٢، ص ٩٤)، واختصت بأكثر من هذا حين شرفها الله بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إليها، فازدادت بركة حين سكنها وبُني فيها مسجده الذي يشد إليه الرحال، و"النبى قد أتاهم مهاجرا فأظهر الله دينه في المدينة، وألف بين القلوب، فوجد الصديق المؤازر واطمأن به الفرقاء فكان عونهم في الأرض من

الله" (عشبة، ٢٠٢١، ص ٥٤٠٢) ولأنه عليه الصلاة والسلام أوصى بالسكن فيها، وفضل زيارتها، فإن الشعراء في شعرهم الديني يعرّجون كثيرا على أهمية زيارتها والسكن فيها، والحنين إليها، فالحنين إلى الديار سمة عامة عند الشعراء، والحنين للديار المقدسة يأتي على وجه الخصوص، لارتباط المكان بقدسية اكتسبها من فضل مساجده وأماكنه المقدسة التي اكتست بطابع روحاني.

ويأتي تصوير الشعراء للمدينة المنورة من خلال الحنين للمصطفى عليه الصلاة والسلام، والحنين لزيارة الروضة الشريفة، وقبره، وزيارة الأماكن التي لا ترتبط بالتاريخ كونه أحداثا، بل ترتبط بصور تجسد الموقف الذي مرّ به الرسول عليه الصلاة والسلام مع الصحابة رضوان الله عليهم، كما أن الشعراء حين يصفون المدينة المنورة يربطون الأماكن بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد فضلها، يقول الشاعر محمد الملح: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٧).

فَالِئِهَا الْإِيمَانُ يَأْرِزُ حَتْمًا وَهِيَ خَيْرٌ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَا

وقد استقى معنى يارز في البيت السابق من قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى حُجْرِهَا" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ٤٥٢).

وهذا يؤكد ارتباط الشعراء بالمدينة التي لها "النصيب الأوفر من مقصد الشعراء فإن هذا الحنين، وإن كان ظاهره عاطفيا إنسانيا، ولكنه في الحقيقة ديني روحي، وقد وضع الله في أرض الحجاز من الخصائص ما يجعل المؤمنين يهوون بأفئدتهم نحو الحجاز عامة ومكة والمدينة بوجه أخص" (شرّاب، ١٩٨٥، ص ٢٦٠)، وقد صور الشعراء "أماكن متعة من طبيعتها، ومعالمها، وجبالها، ووديانها، مستحضرين قيمة المكان، وقدسيتها، وسماته، وملامحه التي أشار إليها مؤرخو المدينة، وأفاضوا في ذكر ما لها من

قيمة عالية" (المباركي، ٢٠١٢، ص ٢٣) لذا قد وقف الشعراء يناجون هذه الأماكن ويعبرون عن اشتياقهم لها في أبياتهم الشعرية.

المبحث الأول:

١. ارتباط المدينة المنورة بالشوق للرسول عليه الصلاة والسلام:

ترتبط القصيدة التي تصف المدينة المنورة بالمصطفى الذي وطأت أقدامه هذ الأرض فشرفت به، يقول الشاعر إبراهيم الملا: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٢٢)

يا بلدة طابَتْ وطابَ حِمَاها	وبِطَيْبَةِ حَيْزِ الْوَرَى سَمَاها
زَادَتْ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ بَرْتُبَةً	ومَنَاقِبِ سُبْحَانَ مَنْ هَيَاها
شَرُفَتْ بِأَشْرَفِ مَنْ مَشَى فَوْقَ الثَّرَى	وتَعَطَّرَتْ مِنْ طَيْبِهِ أَرْجَاها

ثم يكمل:

فالشُّوقُ مِنِّي نَحْوَهَا لَا يَنْثَنِي	بِمَدَامِعِ تَنْهَلُ مِنْ فَرْقَاها
لَوْلَا التَّسْلِيُّ بِالْوَصَالِ وَأَنْبِي	يَوْمًا عَسَى أَحْظَى بِلِثْمِ ثَرَاها
لَتَمَزَّقْتُ نَفْسِي عَلَى مَا نَالَني	مِنْ بُعْدِهَا وَتَقَطَّعَتْ أَحْشَاها

يصف المدينة المنورة وفضلها وتسمية الرسول عليه الصلاة والسلام لها بطيبة في مطلع القصيدة، ويستمر من البيت الأول حتى البيت الرابع عشر يذكر فضلها وشرفها وما حوته من فضل، وتتضمن هذه الأبيات وصف المصطفى؛ فشرف المكان من شرف ساكنه فحين يعبر عن حبه للمدينة المنورة يصف أرجاءها وأسباب حبه لها، فشعوره وهو يزورها شعور مليء بالفرح والسرور فعيشه رغد وحياته كالربيع، حتى تبدل حاله شقاء بعد تركها وهجرانها، ومن صور الفرح وهو في أرجائها قوله:

والعيش في رَغْدٍ وسَعْدِي مُقْبَلٌ بِـي رَحْبَةً أَكْنَأُهَا وَرُبَاهَا
أَعْدُو وَأَسْرِعُ نَحْوَ أَكْرَمِ مُرْسَلِ وَالنَّفْسُ حَامِدَةٌ عَلَى مَسْرَاهَا

يقول: (العيش في رعد - سعدي مقبل -أعدو وأسرع نحو أكرم مرسل - النفس حامدة على مسراها) فالشوق لزيارتها، وزيارة المصطفى ينبغي أن يتقدم على زيارة أي مكان سواها، ويجعل لزيارتها آدابا ينبغي التأدب بها، قائلا: (فجرّد إليه العزم - خلّ التواني - لا تسمعن قول الوشاة -بادر إلى نيل المنى)، فيجعل شد الرحال للمدينة أهم من سواها، بل وينبغي ترك السفر لغيرها، ومغالبة النفس وهواها حين يوظف فعل الأمر للحض على زيارة المدينة لعظيم فضلها، ويشير الشاعر يحيى علي باشا إلى آداب زيارة المدينة قائلا: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٢٨)

فأنزل بدارِ المُصْطَفَى متَأَدِّبًا ولِجُودِهِ مُسْتَمْطِرًا مُتَقَصِّدًا
واعْرِفْ لَفِيضِ الْفَضْلِ مِنْهُ مواسِمًا لَتَكُنْ لَهَا مَتَرَقِّبًا مُتَرَصِّدًا
فاجْهَهُ ذُتْكَنَ جَارًا لَهُ وَدَخِيلَهُ وابْذُلْ لَهُ رُوحًا وَمَالًا مُجْهَدًا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبَلْت وَلِمَا نَصَحْتُ فَعَلْتَهُ مُتَوَدِّدًا

ينبغي التأدب ومعرفة مواسم الطاعات والعبادات وأثرها في إجابة الدعوات، بل ينبغي على من يزورها التحلي بالصبر وتحمل مشاق الطريق، والعلم والمعرفة بل وبذل الجهد في الطاعة لنيل أعلى المراتب، ويؤكد فضل الزيارة ويقدمها على كل مشاغل الحياة ولذاتها، ويستلهم صورة الجود والكرم مع ذكره للمصطفى صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه.

ويصور الشاعر محمد العبد اللطيف تحوّل مشاعره بعد زيارة المدينة قائلا: (السيد

الخليفة، ٢٠٢١، ص ٥١)

فلعلّك يا مُختارُ تَمْنَحُ رَجْعَةً إلى طيبةٍ فيها تَطيبُ المراتعِ
وتُسَعِّفُنِي إِطْلَاقَ أُسْرِي مِنْ هَوَى وفرعونِ نَفْسٍ كَيْدُهُ مُتَّبَعِ

إذ يصوّر الشاعر أثر المدينة على تبدّل حاله فقد خلّصته من هوى نفسه، وبزيارته يرجو مجاورة الحبيب في الدنيا وشفاعته في الآخرة، بل ويستمد من صورة فرعون معنى الغفلة والطغيان التي تمنع العبد عن زيارة المدينة، ويقول الشاعر عبد اللطيف العمير: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٦٧)

ولكنني أشتاقُ زورةَ سيّدي حميد السجايَا من له اللهُ رافع
أهمُّ بأن أسعى إليه وإنني أُعلِّ بالتسويق والذنبُ قاطع
فمن نال من طه الكريم زيارةً فقد نال ما يهوى وفي الخير راتع

يوظف الشاعر في هذه الأبيات العلاقة بين الشوق والزيارة مؤكداً حال من حُرّم الفضل ومن شرف بالزيارة ولقاء المصطفى، ونلاحظ أن الشاعر استعمل كلمة (زورة) مع الاشتياق وبعد المسافة وكلمة (زيارة) مع من نال شرفها وحظي بها، ويؤكد أثر الذنوب في بعده عن المدينة المنورة وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد صوّر الذنوب التي تمنعه من الزيارة سيفاً قاطعاً يحول دون الوصول، ليؤكد عظمها وتأثيرها عليه وحرمانه الخير والفضل العظيم، ومن فضائلها أنه "لا يأنس بها ولا يرتاح لسكنائها ولا يطمئن للاستقرار فيها إلا الكرام الطيبون، أما أهل الشر والنفاق والفجور فلا تستقر لهم فيها حياة" (البر، ٢٠٠٠، ص ٤٠). لذا نجد الشعراء يحومون حول هذا المعنى مؤكدين أهمية زيارتها، متحسين على الأوقات التي ابتعدوا فيها عن المدينة وانشغلوا عنها؛ مشيرين إلى أن ذنوبهم هي من أبعدهم عن هذا المكان الطاهر كما في الأبيات السابقة.

المبحث الثاني:

١. مساجد المدينة المنورة:

يهتم المسلمون بجميع مساجد المدينة المنورة لما لها من فضل يميز كل مسجد فيها عن الآخر، وسنقف على الأبيات الشعرية التي ورد فيها ذكر مساجد المدينة والخصائص التي تميز كل مسجد عن الآخر؛ من ناحية الفضل والمكانة.

أولاً- المسجد النبوي:

أ. المسجد

تسيطر مشاعر الحب للمدينة المنورة على شعراء الكتاب لما تحمله من فضل ومكان، ويخص الشعراء المسجد النبوي بالكثير من أشعارهم لفضائله الكثيرة ولارتباطه بقبر الرسول عليه الصلاة والسلام والروضة الشريفة، وهذا المسجد "مدرسة يتلقى فيها صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم، وهي المدرسة التي تخرج فيها عبد الله بن مسعود وأبو هريرة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبد الله بن عمر-رضوان الله عليهم- فكانوا أمثلة حية للشخصية الإسلامية التي تجمع بين نظافة السلوك وعمق المعرفة ورحابة الأفق" (حمدان، ١٩٩١، ص ١٣٢)، وقد قال عنه عليه الصلاة والسلام: "صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ٢٨٧)، فها هي مشاعر الشاعر محمد الملحم حين زار المسجد النبوي وقد تدفقت الكلمات مناسبة صادقة، يقول: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص

(٨٩)

نسماتُ السرورِ هبَّت علينا
فشذاها ننالُهُ من بعيــــــــــــــــد
وإلى تِلْكَ المعاهدِ قلبي
زائدُ الشوقِ فائِضٌ بالقصيدِ

لاحتِ القبَّةُ السعيدةُ حَقًّا بالحبیبِ المحبوبِ وافي العُهودِ

فالشاعر يقف أمام المسجد وقد غمره شعور بالفرح حين استنشق عطر هواه، وبدأ قلبه يخفق شوقاً حينما اقترب منها ووقع نظره على القبّة، وقد اعتمد على خياله حين ذكر (القصيد) ليؤكد أن صورة المسجد والتأمل في جماله وتفصيله الدينية هي من يُلهمه هذا الشعور، فقد فاضت قريحته الشعرية واصفا الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله:

أحمد المصطفى فريد السجايا بهجة الكونِ نور عينِ الوجودِ

وهذه الصورة ترتبط بإحاطته عليه الصلاة والسلام بكل جميل في هذا الكون، وقد استعار العين مع الوجود لارتباطها بالجمال وإحاطتها بالرؤية فالنور هو عكس الظلام والجهل، والمصطفى عليه الصلاة والسلام أضاء لأمته طريق الحق، وقد دمج في صورته البهجة والنور لارتباطهما بالمدينة المنورة التي تُبهِج الروح.

ب. الجذع

ارتبط الجذع بالمسجد النبوي، وارتبطت قصة حنينه للمصطفى بمعجزاته عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنه في قصة الجذع: "كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَخْلِ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَظَبَ يَقُومُ إِلَى جِذَعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذَعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ٨٨٣)، والحنين في هذا الحديث ألهم الشعراء فجعلهم يتأملون في جذع جماد يشناق للرسول عليه الصلاة والسلام! يقول الشاعر محمد العرفج: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ١٢٢)

الجذع حنّ حنينًا لا انفكاك له فهل يُلامُّ على الأشواق إنسانُ؟

فقد وظف الشاعر صورة الجذع للتعبير عن مشاعر الشوق والحنين لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، مؤكداً أن الشوق للمصطفى يمتد من الجماد إلى الإنسان، بل إن الجماد قد خرج عن طبيعته وصار في غاية الشوق لرسول الله صلى الله عليه وسلم! ولهذا فلا ملامة على المرء إن اشتد به الشوق لا سيما الشوق للحبيب المصطفى، ويصور الشاعر محمد العبد اللطيف صورة أخرى لحنين الجذع قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٤٩)

وحنّ إليه الجذع إذ مسّه النوى فله جذع بالمحبة شايع

فقد شبّه الجذع بإنسان يحنّ ويشعر ومسّه النوى حين أصابه فقد الحبيب وجعل لحنينه صوتاً كالإنسان من شدة الشوق، وينقل لنا الشاعر عبد العزيز السيد مشهداً آخر من مشاهد الجذع حين يبكي قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ١١٣)

سلّ جذع مسجده: فيم البكاء؟ وسلّ طفل الغزالة عن أخلاقه العظم

يصف الجذع حين يشبهه بإنسان ويذكر أسباب البكاء التي ارتبطت بالشوق، كما يربطه الشاعر محمد آل فيروز بالمعجزات في قوله: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٤٥)

إليه جاءت الأشجار تمشي وكلمه الجماد بغير كنه

لقد بنى الشعراء تصويرهم للجذع على البعد الحسي حين صوّروا ارتباط الجذع بمشاعرهم وحنينهم، وكذلك البعد المعنوي حين ربطوا بين معجزات المصطفى والجمادات التي تؤمن برسالته، وقد ركّز الشعراء على الجذع -تحديداً- لمناسبة السياق، فهم يشاققون للمصطفى ولزيارة المدينة المنورة، والحنين هو الجامع بينهم وبين الجذع، كما أن المشاعر التي طالت الجماد وجعلته يحنّ إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا شك أنها

ألقى وأقوى بالإنسان لطبيعته البشرية. فلا ريب أن مشاعر الحنين والاشتياق لرسول الله صلى الله عليه وسلم غمرت أولئك الشعراء.

ج . الروضة الشريفة وقبر الرسول

للروضة الشريفة ولقبر الرسول عليه الصلاة والسلام حضور لافت، وفي ذلك دلالة على حنينهم وتشوقهم للزيارة، كما أنه مرتبط بالشوق لسكن هذا القبر، يقول الشاعر إبراهيم الملا واصفا المدينة المنورة: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٢٢)

وَحَوْتِ ضَرِيحًا ضَمَّ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ فَلِذَاكَ رَبِّ الْعَرْشِ قَدْ أَغْلَاهَا

فحين شرف الله الروضة لأسباب كثيرة زادها شرفا قبره، ولقبر النبي حضور في شعر محمد الملحم إذ يخاطبه قائلا: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٧)

يَا ضَرِيحًا يَضُمُّ جُنْمَانَ طَهَ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ إِنْ جَلَّالًا
السَّلَامُ الْجَزِيلُ مِنِّي عَلَيْكُمْ سَيِّدَ الرُّسُلِ وَالْوَرَى مَنْ قَالَ:
بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّةِ اللَّهِ أَوْ كَمَا هُوَ قَالَا

شخص القبر حين ناداه بقوله: (يا ضريحاً) فقبره عليه الصلاة والسلام بالنسبة للمسلمين مختلف عن كل البقاع الأخرى، فمن يزوره يعلم أنه يحوي جسده الطاهر عليه الصلاة والسلام، فتقع أبصارهم على هذا القبر ويشعرون بقربه منهم وسماعه لهم، وأما الروضة الشريفة فقد نكر فضلها عليه الصلاة والسلام قائلا: "ما بينَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ١٨١١)، وهذا ما أشار إليه الشاعر حين اقتبس الحديث كاملا في بيته الشعري السابق، فقد جمع في أبياته السابقة ذكر القبر الذي شرف الله به المدينة ثم سلامه وزيارته للروضة الشريفة،

وجوَّها العطر، ويصف الشاعر محمود الحلبي شعوره بعد الصلاة في الروضة قائلاً:
(السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٩٩)

صَلَّيْتُ فِي (الروضة) الغنَاءِ يالَهَنَا لو ضَمَّه صَدْرُ هَذَا الكَوْنِ لَمْ يَسَعِ!

فقد بدأ القصيدة بأبيات يصف فيها ما يحمله قلبه من هم وألم، حتى جاء طيبة وزار
الروضة فتبددت كل أحزانه، إلى فرح وسرور وانبعث في نفسه الإحساس بجمال الكون
من حوله واتساعه بعد ضيقه، وفي قصيدة أخرى يذكر فضل الصلاة عليه وارتباطها
بتبدد الهموم كذلك يقول: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ١٠٠)

ذَا بَلَسْمُ الْمُهْجَةِ التَّكْلِى إِذَا تَعَبَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ قُلُوبُ النَّاسِ وَالْمَلَكُ

ويتحسر الشاعر عبد الله بن الرومي على من حُرِمَ زيارة المدينة قائلاً: (السيد الخليفة،
٢٠٢١، ص ٨٥)

وَيْلٌ لِمَنْ صَدَّ عَنِ الدِّ مَدِينَةِ الْمُتَوَّرةِ

أَوْصَدَّ عَنِ سَاكِنِهَا فَلَـم يَزِرْهُ أَوْ يَـرَهُ

فَقَلْبُهُ مِنْ قَسْوَةِ كَأَنَّهُ مِنْ حَجَرَةٍ

ثم يكمل فضل زيارته وأثرها قائلاً:

فَزَرَّتُهُ زِيَارَةٌ يَوْمَ الْجَزَاءِ مُدَّخَرَةٌ

بِهَا فُؤَادِي قَدْ قَضَى رَغَمَ الْعَوَادِي - وَطَرَةٌ

وَقَفَّتْ فِي حَصْرَتِهِ وَأَدْمَعِي مِنْهُمْ مَرَّةٌ

تتحول المشاعر في الأبيات السابقة قبل الزيارة وبعدها، فقد ربط بين قصده المدينة وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام في الدنيا باللقاء به في الآخرة، ففضل الزيارة يمتد لمن حسنت نيته وحسن عمله ورزق خير الدعاء، فالمدينة رُزقت خصوصية فريدة فلا تساويها أو توازيها مدينة غيرها؛ لذا نجد الشعراء يصفون حالهم قبل وبعد الزيارة مؤكدين أن من حُرِم منها فبسبب تقصيره وذنوبه التي أعاقَت زيارته، بينما من نالها فقد أكرمه الله وحقق أمنياته، إضافة إلى تلك المشاعر التي ترتبط بالزيارة من ناحية السكنية والراحة وغيرها من المشاعر الأخرى.

ثانياً - مساجد المدينة التاريخية:

وعن مسجد قباء وفضله يقول الشاعر محمد الملحم: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٧)

إِنَّ فِيهَا قُبَاً وَحَسْبُكَ مَا عُنْدَ ۖ
هُ يَقُولُ الْقُرْآنُ فَأُفْهِمُ مَقَالَا

يختلف مسجد قباء عن بقية المساجد كونه أول مسجد بُني في الإسلام، وقد ربط الشاعر ذكره في القرآن بقوله تعالى: "لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى النَّبَوِيِّ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ نَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ" (سورة التوبة آية ١٠٨)، فهو حين يصف المدينة ويذكر أهم مساجدها يؤكد أهمية هذا المسجد فزيارته "تثير في نفس المسلم ذكريات الهجرة النبوية المباركة، وذكريات كفاح النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في سبيل الله والإسلام" (حافظ ع.، ١٩٩٦، ص ١٣٨) فأهميته تأتي كونه أول مسجد ينطلق منه الإسلام في المدينة، ثم يؤكد أهمية مسجد البقيع ومساجد الفتح قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٨)

مَا أَجَلَ الْبَقِيعِ فِيهَا وَأَحْلَى ۖ
بَلْ وَأَشْهُى مَسَاجِدَ الْفَتْحِ تَلْكُمْ
مَسْجِدَ الْقِبْلَتَيْنِ حَازَ كَمَالَا
مَدَّدَ اللَّهُ عُمْرَهَا وَأَطَالَ

ذكر المساجد السابقة ليؤكد أهميتها وفضل زيارتها، وكأنه يؤكد كذلك أن المدينة المنورة ترتبط بمساجد وأماكن كثيرة يصعب ذكرها في أبيات شعر فقط، لذا نجده يقول بعد ذكر المساجد السابقة: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٨)

يا أحبائي جاوروا دار طة أرخصوا في جواره الأموال

فزيارة المدينة لا ترتبط بالمسجد النبوي فقط، بل ترتبط بكل مسجد وكل بقعة زارها عليه الصلاة والسلام، لذا يمر في أبياته الشعرية بكل الأماكن محاولاً ربطها بقيمة المكان وأهميته محاولاً استنهاض الهمم للزيارة والسكن في المدينة "فهنيئاً لساكنها طيب الإقامة فيها إذا ما التزم حدود الله تبارك وتعالى ولزم الأدب الذي بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يريد المجاورة فيها أو الولاء عليها" (كرنيه، ١٤٠٩، ص ٨) لذا نجد الشعراء يحرصون على اغتنام فرصة السكن فيها ومجاورتها مع ضرورة مراعاة حرمة المكان.

المبحث الثالث: أرض المدينة

أولاً: الجبال والأودية

ثانياً: تراب المدينة

أ. جبل أحد

لجبل أحد محبة خاصة لدى المسلمين فقد ارتبط حبه بحب النبي عليه الصلاة وسلم له في قوله: "هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونحبه" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ١٠٠٢)، وقد اختلف الشعراء الذي ذكروا هذا الجبل في أشعارهم ف"منهم من شده بالتاريخ الثمين الي يكتنزه أحد، ومنهم من فُتن بموقعه وجماله، ومنهم من ارتمى في حضنه ولقي فيها عوضاً من مأخاة البشر" (الرحيلي، ٢٠١٤، ص ١٤٢) وقد وصفه الشاعر محمد الملحم قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٧)

وبها شامخٌ يحبُّ نبياً صالٍ من فوقه الأباةٌ وجالا
ذاك أحدٌ فحبذا جبلٌ صار مصيراً إلى الجنانِ وآلا
حسب أحدٍ ما ضمَّ من شهداءٍ بينهم حمزةٌ يرى رثبالا

يشير إلى جبل أحد وجمال منظره ومحاسنه تكتمل بصورة المعركة فهو يسرد الأحداث التاريخية التي مرت على هذا الجبل، وصورة المجاهدين وهو يغدون ويروحون بثبات وصمود، وقد خصّ بالذكر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- ووصفه بالأسد، وقد قتل غدرا على يد وحشي بن حرب، وقد تخيله الشاعر مرتبطا بالجنة، فمعاني الصمود والشموخ ورماح المجاهدين وسيوفهم وقتالهم واستشهادهم اكتمال للصورة التي عبر عنها الشاعر، وقد صوّر الشاعر عبد اللطيف العمير معركة أحد نسبة لهذا الجبل قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٦٧)

وفي يومٍ أحدٍ والرماحُ شواجرٌ وبيضُ الظبا فوق المتونِ لوامع

الحدث التاريخي هنا ألهمهم تصوير مشهد المعركة، فالحرب مستعرة ويؤكد وصفه لأدوات القتل شجاعة المجاهدين في ميدان المعركة، وقد ركّز على وصف المقاتلين الذين لم يتعجلوا النصر، وأسرعوا إلى الغنائم وأثر موقفهم في انتصار المسلمين.

ب. وادي العقيق والعذيب

يرتبط وادي العقيق عند شعراء الأحساء بالشوق والحنين كغيرهم من الشعراء السابقين، وقد ذكر المصطفى عنه أنه واد مبارك حيث يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَوَادِي الْعَقِيقِ يَقُولُ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلَّى فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْتُ: عُمَرَةُ فِي حَجَّةٍ" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ٣٧٣). وعن هذا الوادي يصف الشاعر محمد العبد اللطيف شوقه للعقيق قائلاً: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٤٧)

وَمُدُّ زَادِ شَوْقِي لِلْعَقِيقِ تَفَجَّرَتْ
 نُحَاكِيهِ مِنْ عَيْنِي عُيُونُ نَوَابِغٍ
 وَلِذِّ لِحْسَمِي بِالْعَذِيبِ عَذَابُهُ
 وَفِي مُنْحَنَاهُ بَارِقٌ يَتَلَمَّعُ

فقد استعار للعقيق صفات الإنسان حين يحكي معه وينظر إليه ويرد عليه ويفهم ما يقوله الشاعر، وربط شوقه بالعذيب أيضا - وهو مكان قريب من العقيق - وكل هذه الأماكن سلوى لنفسه المتعبة والتي تشتاق للمدينة وأماكنها، ويؤكد أن هذه الأماكن تبادلها الشوق فكأن العذيب يحسّ به ويشعر بهذا الشوق، فقد عبر الشاعر محمد الملحم عن حبه لوادي العقيق: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٨٧)

إِنَّ حُبِّي وَادِي الْعَقِيقِ صَرِيحٌ
 وَصَحِيحٌ لَا يَقْبَلُ الْإِغْلَالَ

يركز الشعراء على حب هذا الوادي تحديدا فنجد أبياتهم "تستدعي مكانته الروحية كمكون وجداني، يستجلي حالة التأمل التي تحفز على البوح والغناء" (الدبيسي; محمد، ٢٠٠٧، ص ٤١)، فيرتبط هذا المكان بحبه في نفوس الشعراء، لذا نجد تجربتهم الشعرية تعكس دلالات هذا الحب، فهو اقتداء وتتبع لآثار المصطفى عليه الصلاة والسلام حين ذهب إليه وصلّى فيه.

ثانيا: تراب المدينة

يرتبط تراب المدينة المنورة بالبركة كما ذكر في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: "باسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا بإذن ربنا" (البخاري، ٢٠٠٢، ص ١٤٥٤)، ولذا نجد الشعراء يصفون هذا التراب مرتبطا بالبركة والفضل، ويؤكدون اختلافه عن أي تراب آخر، يقول الشاعر إبراهيم الملا: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص

(٢٢)

فُعْبَارُهَا يُبْرِئِ الْجُدَامَ وَتُرْبُهَا يَشْفِي الْعَلِيلَ وَذَاكَ بَعْضُ سَنَاهَا

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات أن هذا التراب الذي يشفي من الأمراض هو جزء من فضل هذه المدينة، وما زالت مميزاتا أكثر من ذلك، ويرى بعض الشعراء أن هذا التراب استقى بركته من وطء أقدام النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الأرض، يقول الشاعر محمد الدوغان: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ٩٥)

بلد تبارك تُربها والماء والحرّتان وسلع والأبواء
وِطْنَتْ تَرَاهَا نَعْلُهُ فَسَمَا بِهَا وتنافست لمقامه العلياء

وتمتد بركة هذا التراب إلى قبره، ما دفع الشاعر عبد الله الملا للتمني بأن تكون روحه رملة تتأمل وجه المصطفى عليه الصلاة والسلام في قبره: (السيد الخليفة، ٢٠٢١، ص ١١١)

النُّورُ يَسْأَلُ عَنِ تُرَابِكِ أَسْئَلَةً فَأَجِبْتُهُ: يَا نُورُ لَنْ تَتَحَمَّلَهُ
ذَاكَ التُّرَابُ وَلَيْتَ نَفْسِي رَمْلَةً فِي قَبْرِهِ وَبِوَجْهِهِ مُتَأَمِّلَةً

ونلاحظ في الأبيات السابقة التأثير بالحديث النبوي المرتبط ببركة تراب المدينة، وإن اختلف تعبير كل شاعر عن الآخر ومن خلال ما استعرضناه من أبيات، نلاحظ تأثر أغلب الشعراء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الكتاب؛ فهم إما فقهاء أو علماء مزجوا بين الجانب الديني في معرفتهم بالأحاديث والجانب الأدبي في قولهم للشعر، إضافة إلى مجاورة كثير منهم للمدينة المنورة، وسكنهم فيها.

خاتمة

يضم الكتاب مختارات شعرية لمجموعة من شعراء منطقة الأحساء خلال خمسة قرون، وبعض القصائد قد حُفظت كوثيقة أو مخطوطة وبعضها في بطون الكتب، ودواوين الشعراء، وتعد هذه القصائد جزء من مشاعر حبّ أهل الأحساء الصادقة للمدينة المنورة وقد جمعها تلك العواطف والمشاعر المتأججة تجاه المدينة، كما أنهم قد أكثروا من ذكر أهم مساجدها وجبالها ووديانها، وكل هذا يؤكد سعة اطلاعهم وغزارة علومهم، وربطهم الأحداث التاريخية بأشعارهم، ومن أهم النتائج في هذا البحث:

١. انعكس ذكر الأماكن المقدسة على نفوس الشعراء وارتبط بشوقهم للرسول عليه الصلاة والسلام.
٢. أكّدت الأبيات الشعرية فضل المجاورة، وعظيم البركة لمن ناله هذا الفضل، وفي المقابل حال من حُرّم الزيارة ومنع هذا الفضل.
٣. استند الشعراء في أبياتهم على التناص مع الأحاديث النبوية في أبيات كثيرة، خاصة تلك الأبيات التي تصف الأماكن التي لها فضل ومكانة، وهذا يؤكد سعة علمهم وأثر ثقافتهم الدينية والأدبية على أشعارهم.
٤. يصف الشعراء الراحة والسكينة التي تغمرهم عند زيارة المدينة المنورة، ولا غرو في ذلك فقد جاورها نخبة منهم طلبا للعلم.
٥. أسهمت الأبيات التي ذُكر فيها فضائل المدينة المنورة بإبراز أهم معالمها من ناحية المكانة والفضل لكل بقعة فيها.

المصادر

١. أبو الخير صلاح كزنبه. (١٤٠٩). الأصول في فضل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. ط٩. جدة. دار القبلة.
٢. البخاري. محمد إسماعيل. (٢٠٠٢). صحيح البخاري ط١. دار ابن كثير. دمشق.
٣. البر، عبد الرحمن عبد الحميد، (٢٠٠٠). التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية. ط١. دار اليقين. القاهرة.
٤. حافظ، عبد السلام هاشم، (١٩٨٢). المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة ط٣. نادي المدينة المنورة. المدينة المنورة.
٥. حمدان، عاصم، (١٩٩١). المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ. ط١. دار العلم. الرياض.
٦. خيرى، عبيد، (٢٠٠٣). المدينة المنورة في عيون الشعراء. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. المدينة المنورة. ع٣.
٧. الدبيسي، محمد. (٢٠٠٧). المكان في التجربة الشعرية شعراء المدينة المنورة نموذجاً. مجلة بحوث المدينة المنورة. ع٢١.

الدوريات:

١. الرحيلي، ماهر، (٢٠١٤). صور استلهام المكان عند شعراء المدينة. مجلة كلية الآداب. بنها. ع٣٧.
٢. السيد الخليفة، عبد الله صلاح، (٢٠٢١). إمام الأنبياء في الشعر الأحسائي، ط١. دار الفتح. الأردن.

٣. شرّاب، محمد حسن، (١٩٨٥). أخبار الوادي المبارك العقيق. ط١. دار التراث. المدينة المنورة.
٤. عدنان الأحمد. (٢٠٠٧). يثرب في شعر شعرائها. مجلة جامعة تشرين. سوريا. ١٤.
٥. عشبّة، غادة حسن، (٢٠٢١). مديح النبي صلى الله عليه وسلم في شعر معاصريه بين المثير والتعبير. مجلة الزهراء. القاهرة. ٣١٤.
٦. علي حافظ. (١٩٩٦). فصول من تاريخ المدينة المنورة. ط٣. المدينة المنورة. شركة المدينة المنورة.
٧. المباركي، محمد، (٢٠١٢). المدينة المنورة في شعر شعرائها المعاصرين دراسة موضوعية فنية. كلية اللغة العربية. القاهرة. ٣٢٤.

Medina in Al-Ahsa Poetry: A Book (Imam of Prophets in Al-Ahsa Poetry) as example

Dr. Huda Abdulrahman Elsheikh Mubarak

Assistant Professor at King Faisal University

Kingdom of Saudi Arabia / Al-Ahsa

Abstract

The research is concerned with the study of Medina and its impact on the formation of the image in the Diwan of the Prophets Imam in Al-Ahsa poetry by examining the status of Medina and the characteristics that distinguish it from other parts of the earth, describing the longing of poets for it, and their depiction of its mosques, mountains and soil, and its connection to the Prophet, peace and blessings be upon him.

Keywords: Medina, Properties, Landmarks